ما في العربية من هذا الباب. وقد أشرت إلى أن طائفة من أولئك الكوفيين هم أصحاب لغة وليس لهم من النحو شيء كثير. ولو أنا عرضنا لما أورده الكوفيون في موادهم لوجدنا أنها تشتمل على شيء ليس من النحو، ألا ترى أن قولهم إن «الإسم» من الوسم هو شيء من اللغة، ومثل هذا شيء آخر.

وقد انتهيت إلى أن ما يدعى بـ النحو الكوفي شيء مفتقر إلى المصطلح الفني، وإن اشتهر لهم شيء من هذا، وبيَّنت أن المصطلح عندهم قد يطلقونه على أشياء عدَّة يختلف بعضها عن بعض.

ولم أرد في بحثي هذا أن أرد على فلان أو فلان ممن كتبوا في «المدارس النحوية» لم أشر إلى الدكتور «السيِّد صاحب مدرسة البصرة»، ولم أشر كذلك إلى الزميل «الصديق» الدكتور مهدي المخزومي، ولا إلى كتابه «مدرسة الكوفة» ولا إلى كتبه الأخرى وهي «الخليل بن أحمد»، و«في النحو العربي ـ قواعد وتطبيق» وغيرهما. ولم يكن من وكدي أن أشير أو ألمز أو أغمز أحداً من فلان أو فلان، ولكني بسطت هذا الموضوع بعد أن تهدَّيت واستقر في معرفتي أننا تجاوزنا الحدود وخرجنا كثيراً، بل تزيّدنا وربما استهوانا لفظ «المدارس» فاستعرناه توسعاً ومجازاً.

أقول بسطت هذه الفوائد في بحثي، وما كنت أتوقع أن سينبري الصديق المخزومي مغاضباً شديداً متهجماً غامزاً لامزاً يظن أن لن نقدر عليه، فكتب مقالةً وكأنه قد غمس قلمه في الخلّ، فعجبت والله أن تضيق نفسه إلى هذا الحد، وأن تُطوَى مودة ويُنسَى إخاء. وقد حملت نفسي على أن أغضي عما وقعت عليه عيناي في مقالة الصديق وأن أغض الطرف وأربح ما أنا سعيد به من أخوة قديمة، ولكني لم أستطع، والمرء ضعيف إزاء نوازع النفس، والنفس أمَّارة. . . .

وقلت من الخير لي و«للصديق» وللعلم أن أجيب عن لغته تلك التي تنكرت للعلم، وأن أبسط له أن للعلم حرمة، وحُرمة العلم تفرض